سلسلة مقالات الأنبا ساويرس
البطريرك الأنطاكي

١٧

السامري الصالح

مليكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

سلسلة مقالات الأنبا ساويرس
البطريرك الانطاكي

١٧

مقال القديس ساويرس عن مثل

السامري الصالح

المذكور في انجيل لوقا البشير :

« إنسان كان نازلا من أورشليم الى أريحا فوقع بين اللصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت » لو ١٠ : ٣٠.

ويشمل المقال عتاباً موجهاً الى الذين لم يقدموا قطعاً من القماش لأجل الذين يقاسون من القروح أو بعض الأمراض الأخرى ، وكانت هذه هي العادة أثناء الصوم .

مترجم عن الفرنسية من الكتاب الأول من الجزء الثالث والعشرين
من مجموعة PATROLOGIA ORIENTALES
R. Graffin F. Nau
Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche
ترجمه عن السريانية ونشره
Maurice Brière

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

أبينا الطوباوى المكرم رئيس الاساقفة الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

لقد تألمت كثيراً بروحى ، وكان جرحى عميقاً ، كنت فى غربة من الألم ، حينما رأيتكم فى الاحد السابق ، تستمعون بغير إكتراث إلى تلاوة الإنجيل المقدسة الإلهية ، وتمرون على قوة الكلمة التى سمعتموها بآذانكم فقط ، دون أن يكون قلبكم حاراً فى نفس الوقت بتلك الأقوال . ولكنى كى لا أجعل كلمتى مؤلمة بإصرارى منذ البداية على اللوم ، فانى مذكركم أولا بما تُلى ، وعلى قدر استطاعتى ، أشرحه لكم بمقدار ؛ ثم أصل بذلك إلى انتهاى إياكم ، باقتيادكم بالإقناع إلى ما هو كامل كأخوة ، وليس بالتهجم عليكم كمذنبين كما يفعل المدعى العام .

لنر ما تضمنته كلمات الإنجيل ولنفهم المعنى الذى تنطوى عليه . سأل ناموسى وهو المتأمل فى وصايا ناموس موسى الذى يعد بتعليمها للذين لا يعرفونها ، سأل يسوع يجربه قائلا : « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » لو ١٠ : ٢٥ .

وبعد أن قال له مخلصنا : « ما هو مكتوب فى الناموس » ، وأضاف : « كيف تقرأ ؟ » لو ١٠ : ٢٦ . لكى يبين له غروره ، لأنه كان يقرأ للآخرين وهو لا يفهم ، قام بكبرياء وتلا الوصايا بلسانه ، فاغراً فاه قائلا : « فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » تث ٦ : ٥ .

« فإذا سمعتم لوصاياى التى أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » تث ١١ : ١٣ .

« لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك . أنا الرب » لا ١٩ : ١٨ .

بعد أن كرر هذه الوصايا بروح العجرفة ، أمره يسوع إلهنا الطبيب الحكيم ، وهو يستعمل الوداعة مع العتاب ، بأن يفعل بما قال . « فقال له بالصواب أجبت . افعل هذا فتحيا » . لو ١٠ : ٢٨ .

ولكن الناموسى كان يسأل من جديد وكأنه يحتج بأنه يريد أن يتعلم : « ومن نعتبره قريباً ينطبق عليه أمر الناموس أن يحبه الإنسان كنفسه ؟ » حينئذ رد يسوع بمثل قائلا :

« إنسان كان نازلا من أورشليم إلى اريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض ان كاهناً نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن . فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به . وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال

له اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك » . لو ١٠ : ٣٠ - ٣٥ .

قل الآن دون أن تنظر إلىّ بعينين شريرتين فاحصتين ، أيها الناموسى ، من هو قريبك ، أو من أصبح قريباً لمن كان محتاجاً إلى العناية من أجل الأعمال ذاتها ؟

فانك كثيراً ما تظن فعلا عن جهل ان الذى يشترك معك فى نفس الديانة أو نفس الجنسية هو قريبك : أما أنا فإنى أقول وأعين أن الذى يشترك فى نفس الطبيعة البشرية هو قريبك . كما رأيت ان من كان يرفع رأسه متشبهاً باللابس الكهنوت ، والذى كان يتفاخر بتسميته لاوى ويقوم بوظائف الخدمة الكهنوتية ويمارسها حسب الناموس ، ومن يفخرون أيضاً - كما تفعل أنت - بمعرفتهم الوصايا الإلهية ، لم يفكروا ان ذلك الذى هو من نفس جنسهم ، ذلك العريان المغطى بالجراح التى لا شفاء منها ، ملقى على الأرض ، على وشك أن يموت فى لحظة ، كان إنساناً !! لكنهم احتقروه كأنه حجر أو قطعة من الخشب المرفوض . بخلاف السامرى الذى كان لا يعرف وصايا الناموس ، الذى اشتهر بينكم بالغباء والجهل . وهكذا تكلم الحكيم : « الجالسين فى جبال السامرة والفلسطينيين والشعب الجاهل الساكن فى

حيم » . حكمة يشوع ٥٠ : ٢٦ . ـ لقد عرف هذا السامرى الطبيعة البشرية وفهم من هو القريب ، من كان فى نظركم أيها القضاة بعيداً جداً صار قريباً جداً لهذا الذى يحتاج إلى العلاج. فلا تقصر تعريف القريب فى خسة يهودية فتظن بمقاييس ضيقة أن آباء جنسك ، كما يقول إشعيا النبى هم وحدهم أقرباء ، لأن كل شخص تبسط عليه روح المحبة هو القريب .

« أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك » أش ٥٨ : ٧ .

وطبقاً لهذا المعنى البسيط الماثل أمامنا ، يكون لكلمات المثل الذى نحن بصدده ، هذ المغزى وهذا التفسير المتفق مع الكلمات ذاتها : فلا ننظر نظرة سطحية فقط ، إذ انه توجد تأملات عميقة وروحانية جداً لمن يستطيعون أن يتأملوا العبارات بطريقة روحية ، على قدر إدراكهم . لأن كل واحدة من هذه العبارات مفعمة بالمعانى ، فتبين الأمثال عدداً من الأشياء الواضحة المفهومة للجميع ، فتجذب السامعين ، ومن ناحية أخرى تخفى عدداً كبيراً من المعانى المختلفة فتثير الرغبة فى البحث عنها .

لذلك كان التلاميذ أنفسهم معتادين أن يقولوا لمخلصنا :

« فسر لنا مثل زوان الحقل » مت ١٣ : ٣٦ . وقال بطرس أيضاً : « فسر لنا هذا المثل » مت ١٥ : ١٥ . ومرة أخرى أيضاً ، سأل التلاميذ نفس السؤال : « لماذا تكلمهم بأمثال . فأجاب وقال لهم لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يعط » مت ١٣ : ١٠ - ١١ .

فبمناسبة هذا المثل الذى أمامنا الذى نعتزم شرحه ، لنركض نحو الناحية الروحانية لهذه المعانى المخفية ، سائلين الروح الإلهى الذى يوزع لكل واحد العطايا الخاصة كما يشاء ، أن يكشف لنا على قدر ضعفنا عن الأفكار النافعة ، وان يجعل الذين يتدبرونها ينتفعون بها دون أن ينت فى عضدهم إرتفاعها .

« ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » ١ كو ١٢ : ١١ .

كيف ساق إليهم هذا المثل ؟ « إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت » لو ١٠ : ٣٠ .

لم يقل مخلصنا « كانوا نازلين » بل قال « إنسان كان نازلاً » ان المسألة مسألة البشرية جمعاء . فبالحقيقة بسبب تعدى آدم

الوصية قد سقطت من مسكن الفردوس العالى المرتفع الهادى،
الذى دعى لذلك بحق أورشليم ، ومعناها سلام الله ، إلى اريحا
التى هى مدينة فى وادٍ منخفض يخنقه الحر .

فهو يعلمنا ان حياة الاهواء فى هذا العالم تفصل عن الله ، وتجر نحو أسفل ، وتسبب الإختناق بحرارة الشهوات المخزية ، تهيج القلق وتدنى إلى الموت .

بعد أن سقطت البشرية إلى هذا الدرك ، وبعد أن انقلبت وانجذبت إلى أسفل ، وانقادت رويداً رويداً إلى هوة السقوط ، هاجمها جمع من الشياطين يجردوها من ثياب الكمال على نحو ما تفعل عصابة من اللصوص؛ لم يتركوا لها بقية من قوة أو مسحة من الطهارة أو العدل أو الحكمة أو أى شىء مما يمثل الصورة الإلهية ؛ وهكذا وثدت بجراح الخطايا المختلفة المتكررة ، وبالجملة قاتل الشياطين البشرية وتركوها بين حية وميتة .

وهذا بالحقيقة يبين جيداً ما اختص به هذا المثل من عمق تدركه بالتأمل ، لأن من عادة اللصوص والسراق أن يحدثوا أولا الإصابات والجروح حتى يجردوا الجريح بعد ذلك من ملابسه ، ليس هناك فى أغلب الاحيان ما يدعوهم إلى إحداث إصابة بعد ذلك . ولكن الشياطين وهم بمثابة اللصوص لا يستطيعون إلى

ذلك سبيلا ما لم يرفعوا عنه ثياب الفضائل أولا ، وبعد ذلك يجرحونه بدون شفقة حتى الموت ؛ لأنهم لا يريدون منا ملابسنا ، بل ما يريدونه بالحقيقة هو خسارتنا وموتنا ؛ لذلك قال ربنا بحكمة : « فعرّوه وجرّحوه » لو ١٠ : ٣٠ .

فعندما كانت البشرية ملقاة على الأرض ، وما هى إلا دقات حتى تفقد الوعى وتفنى ، رآها الناموس المعطى بواسطة موسى ، وهذا فى الواقع ما يشير إليه بعد ذلك بالكاهن وباللاوى أيضاً ؛ لأن الناموس هو طبيب الكهنوت اللاوى . رآها لكن من ناحية أخرى كان ينقصه النشاط والقوة فلم يستطع أن يجلب الشفاء الكامل ؛ ولم يقم البشرية التى كانت ملقاة على الأرض ؛ ولأنه كان ينقصه النشاط ، بدأ تبعاً لذلك نحو هذه المسيرة بدون نتيجة .

ويقول بولس الرسول : « الذى هو رمز للوقت الحاضر الذى فيه تقدّم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذى يخدم » . عب ٩ : ٩ .

« وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » . عب ٩ : ١٢ .

لذلك لم يقل ربنا : « ان الكاهن واللاوى بعدما رأيا الرجل بين حى وميت ملقى على الأرض ، « جازا عنه » ، لكنه قال : « فعرض ان كاهناً نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله » . لو ١٠ : ٣١ - ٣٢ .

كلاهما لم يتخطّ الرجل فيتركه جانباً دون أن يراه ؛ بل وقف أمامه ورآه وفكر فى شفائه ولمسه ، ولما وجد انه غير قادر على شفائه وقدغلبته خطورة جراحاته أى الأهواء ، حينئذ رجع إلى الوراء راكضاً . وهذا هو ما تظهره عبارة : « جاز مقابله » .

وأخيراً يقول : « ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن . فتقدم وضمّد جراحاته وصبّ عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به » . لو ١٠ : ٣٣ - ٣٤ .

هنا يدعو المسيح نفسه بحق سامرياً . يخاطب ناموسياً يفتخر فى ذاته كثيراً بالناموس ؛ اهتم بأن يبين بقوله انه ليس الكاهن ولا اللاوى وعلى وجه العموم ليس الذين كانوا يعتقدون انهم

يسلكون حسب وصايا موسى عندهم القدرة ، بل هو ذاته الذى أتى لكى يكمل إرادة الناموس مبيناً بالوقائع ذاتها من هو القريب بالحقيقة ، وما تنطوى عليه العبارة « تحب قريبك كنفسك » . وهو الذى كان اليهود يقولون له شاتمين : « ألسنا نقول حسناً انك سامرى وبك شيطان » . يو ٨ : ٤٨ ، وهو الذى كانوا يتهمونه كثيراً بتعدّى الناموس .

وبمعنى آخر لا أحد يرى فى تسمية المسيح بالسامرى ما هو غير جدير ، ولو انها تبدو بطريقة ما انها تسمية غير مناسبة لجلاله الأقدس .

لحينما أسر شلنصر الأشورى شعب إسرائيل ونفاه عند نهر « مادى » ، كما هو مكتوب فى سفر الملوك الرابع ، أرسل من بابل بعض الأهلين بدلا من الأسرى وأسكنهم تلك المدن . وكانت الأسود تفتك بهم لأنهم لم يكونوا يعيشون طبقاً لعادات الأجداد كما عاش الذين يسلكون حسب ناموس موسى ، فأرسل رجلا من بين الأسرى وكان من الكهنة ، لكى يعلمهم تلك العادات . وهكذا احتل البابليون تلك المدن مسمّين أنفسهم سامريين لأنهم حراس البلد .

" في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة وسبى إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي " ٢ مل ١٧ : ٦ .

" وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها . وكان في ابتداء سكنهم هناك أنهم لم يتقوا الرب فأرسل الرب عليهم السباع فكانت تقتل منهم . فكلموا ملك أشور قائلين . ان الأمم الذين سبيتهم وأسكنتهم في مدن السامرة لا يعرفون قضاء إله الأرض فأرسل عليهم السباع فهي تقتلهم لأنهم لا يعرفون قضاء إله الأرض .

فأمر ملك أشور قائلاً إبعثوا إلى هناك واحداً من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض . فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن في بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب " .
٢ مل ١٧ : ٢٤ - ٢٨ .

ومن ذا الذي يعارض في أن المسيح هو الحافظ الحقيقي لكل الأرض وانه مالك الكون، " وبه نحيا ونتحرك ونوجد " اع ١٧ : ٢٨ .

ويجب أن نعلم ان البعض يقولون ان ثمة وقائع أخرى من أجلها دعي السكان سامريين ، فلقد احتلوا جبل السامرة ، بعد أن اشتراه ملك إسرائيل بوزنتين من الفضة من شامر صاحب الجبل كما هو مكتوب :

" واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة " ١ مل ١٦ : ٢٤ .

ومع ذلك نريد أن نستخلص من هذه الكلمة معنى يليق بما نحن ماضون في شرحه ، فلا نناقش موضوع المعنى المتغير أو السبب الذي من أجله كانت هذه التسمية ؛ لأنه يوجد وراء كل هذه المعاني شيء ثابت وحقيقي في نفس الوقت ؛ فهذا السامري الذي كان في الطريق ، وهو المسيح ، قد رأى إذاً الجريح على الأرض . واتخذ حقاً طريقه ولم يمض دون أن يهتم به ، لأن سبب إتخاذه طريقه هو بالذات لكي يفتقدنا .

" مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه " لو ١ : ٦٨ . " باحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من

العلاء ،، لو ١ : ٧٨ ، نحن الذين من أجلنا نزل على الأرض وأقام معنا . انه لم يُرَ فقط ، لكنه عاش مع النـــاس ، حينما تأنس بالحقيقة بدون استحالة بطريقة تفوق كل تصور . لأن من شأن الأطباء الحقيقيين ان يعيشوا صحبة مرضاهم ولا يبتعدوا عنهم قبل شفائهم .

وهكذا كان أيضاً يسكب النبيذ ، أى الكلمة التى تعلم ، وتضمد الجروح . وقد أعطانا فعلا لنشرب نبيذ التوبة ، كما يقول النبى فى المزامير : « اربت شعبك عسراً . سقيتنا خمر الترنح » مز ٦٠ : ٣ . ولم نكن بالحقيقة لنستطيع تحمله صرفاً ، لأن خطورة الجراح الخبيثة وحالتها التى لا شفاء منها كانت لا تتحمل مثل هذا اللذع ، ولذلك خلطه بالزيت .

كان أيضاً يأكل مع العشارين والخطـــاة ، وكان يقول للفريسيين الذين كانوا ينحون باللائمة ، يتهمونه وينتقدون : « فاذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة . لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » . مت ٩ : ١٣ .

وقد حمل على دابته من كان موضوع مثل هذا الاهتمام

والعناية . بالحقيقة كما هو مكتوب : « والإنسان فى كرامة لا يبيت يشبه البهائم التى تباد » مز ٤٩ : ١٢ . « إنسان فى كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التى تباد » مز ٤٩ : ٢٠ .

فقد جلب الإنسان على نفسه هوى الشهوة الدنسة حتى أظهر المسيح بعد ان جعل نفسه باكورة جنسنا ، وهو الذى لا يعرف خطية ، أولا فى ذاته اننا ارتفعنا وسمونا فوق الاهواء الحيوانية ، ودسناها بأقدامنا .

« لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذولا » أش ٥٣ : ٤ . لأنه فى ذاته يحملنا : لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » اف ٥ : ٣٠ .

وفضلا عن ذلك قد أتى به إلى الفندق ، « فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به » . لو ١٠ : ٣٤ .

وهو الكنيسة التى أصبحت تستطيع أن تستقبل وتأوى كل الناس . فإننا لم نعد نسمع حسب ضيق الظل الناموسى والعبادة الرمزية : « لا يدخل عموّنى ولا موآبى فى جمـــاعة الرب »

تث ٢٣ : ٣ ، « فى ذلك اليوم قرىء فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجد مكتوباً فيه أن عمونياً وموآبياً لايدخل فى جماعة الله إلى الأبد ، نحميا ١٣ : ١ ، بل تسمع : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » مت ٢٨ : ١٩ ، وأيضاً : « بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » اع ١٠ : ٣٥.

وبعد أن أتى به إلى الفندق ، « إعتنى به » لو ١٠ : ٣٤ . أى بعد أن تشكلت الكنيسة من اجتماع الأمم التى كانت تموت فى عبادة الآلهة العديدة ، أصبح المسيح نفسه هو الساكن فيها ويسير ، كما هو مكتوب ، ويمنح كل نعمة روحية .

« فانكم أنتم هيكل الله كما قال الله انى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً » ٢ كو ٦ : ١٦.

ويتبع ذلك أنه أيضاً أعطى دينارين لصاحب الفندق ، « وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق » لو ١٠ : ٣٥ ، ويُفهم من هذا أنه يرمز للرسل وكذلك للرعاة والمعلمين الذين خلفوهم ، حينما صعد إلى السماء بعد أن خولهم

الأمر بالاهتمام بصفة خاصة بالمريض . وأضاف قائلاً : « اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك » . لو ١٠ : ٣٥

ويسمى العهدين القديم والجديد دينارين . الأول مُعطى بواسطة ناموس موسى والأنبياء ، والثانى بواسطة الاناجيل وتعاليم الرسل ، وهما كلاهما ملك لله الواحد ، وكالدنانير يحملان صورة واحدة لهذا الملك العلى ، ويطبعان نفس الصورة الملكية فى قلوبنا ويثبتانها بالكلمات المقدسة ، لأن الناطق بها هو بالحقيقة أيضاً روح واحد .

ليهلك مانى وقبله مركسيون الكافرين اللذين يقسمان هذين العهدين بين آلهة مختلفة ! فان هذين الدينارين كانا لملك واحد وقد أعطاهما المسيح فى نفس الوقت وبنفس الشرف إلى صاحب الفندق . وتسلمها رعاة الكنائس المقدسة ، ونموهما بتعاليمهم باتعاب وأعمال ، وصرفوهما وبالاحرى زادوهما بصرفهما ، لأنه هكذا المال العقلى ، لا ينقص بالصرف بل يتضاعف ويزداد ؛ حينما يأتى ربنا فى اليوم الأخير ، سوف يقول كل واحد : « يارب قد أعطيتنى وزنتين ، هوذا بعد أن صرفتهما عن نفسى ، قد ربحت اثنتين آخرين زدت بهما القطيع وضاعفته » ، وسوف يرد

عليهم المسيح قائلا : « نعماً أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً فى القليل فاقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيّدك » مت ٢٥ : ٢٣ .

فبعد أن قرأت قديماً كتقليد الآباء ، آتى الآن إلى موضوع اللوم ، فقد دعاكم الواعظ مناشداً إياكم أن تقدموا قطعاً صغيرة من القماش لأجل مجيء المسيح المرهوب ، لمنفعة العناية بمرضى البرص ولراحة أجسادهم التى دبت فيها العفونة والرائحة الكريهة مثل قبر متحرك ، أو المرضى بأى مرض آخر .

بالاختصار لم يظهر على أى أحد منكم أنه سمع هذا النداء ، إلا أن تكون إمرأة أو اثنتين عن طريق الصدفة قد ألقت قطعاً وبقايا قذرة من ملابس قديمة مستعملة ممزقة جداً ، وحكت انها ترضى الناموس وتفى بالإلتزام المعتاد لكنها تصرفت فى رياء وكأنها قدمت أقشة .

ومع ذلك فبعد الناموس والأنبيـــاء ، لم يتركنا المسيح جانباً ، فبينما لم يكن لدينا رجاء وكنا فى عداد من هم قاب قوسين أو أدنى من الموت ، نزل من العلا واشترك فى ذات الجوهر مثلنا فيما عدا الخطية وارتضى أن يتأنس بدون استحالة ، فيقبل

أيضاً موت الصليب والقبر والنزول إلى الجحيم ، بينما هو بطبيعته الله ، تحمل كل هذا بتأنسه ، ومر بطريقة فائقة بكل هذه الحالات ليقيمنا نحن الذين سقطنا ، « تبددت عظامنا عند فم الهاوية » مز ١٤١ : ٧ . كقول داود النبى .

لم نكن نستطيع أن ننهض وكنا مدفونين أسفل ، حتى أننا لم نكن نستطيع فقط أن نرفع أعيننا نحو السماء ، كما يقول بولس الرسول ، بعد أن « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » . اف ٤ : ٩ ، أخرج منها الذين لم يكن لهم رجاء فى الخلاص قط ، حينما اقترب جداً من البعيدين .

لذلك يسأل الناموسى مبيناً له عظم محبته الفائقة : « فأى هؤلاء الثلاثة ترى صـــار قريباً للذى وقع بين اللصوص » لو ١٠ : ٣٦ .

أما نحن الذين نسمع هذه الكلمات ، أو بالحرى الذين حسبنا مستحقين لها ، فلم نعطه قطعـــة واحدة من قماش حتى القماش المستعمل . مع أن الذى يسأل هو نفسه الذى يقول : « الحق أقول لكم بما انكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » مت ٢٥ : ٤٠ .

قل لى انّا نعلن أن يوسف الرجل الذى من الرامه أهل لمثل هذه الكرامة ، ذلكم هو الذى طلب من بيلاطس أن يسمح له بدفن جسد يسوع المحبى وغطاه بأكفان من الكتان ! ونفسى انا نحن أيضاً إذ لنا إمكانية الحصول على نفس الشرف ونفس الكرامة مثله أو أكثر منه ، فى كل مرة يكون فى إستطاعتنا أن نريح المسيح المجروح ، فانا نحرم أنفسنا هذه الهبات الممتازة ونرفض فضلا عظيماً .

لكن إذا قام بيننا ملك إذن لكنا نعطيه كل الملابس التى فى منازلنا وأيضاً الملابس الحريرية التى نخرجها من الخزائن لهذه المناسبة ، حتى يرتديها ويمشى عليها ويستعملها بلا لياقة فتحمل أيضاً معه ، وذلك أملا فى بعض الكرامة الزمنية والمسيح ملك الأرواح العلوية والسلاطين والقوات السمائية ، الذى يتقدم إلينا مجروحاً فى كل جسده ويعد بأن يعطى ملكوت السموات لأجل قطعة صغيرة من القماش، يذهب دون أن نصنع من أجله شيئاً . أنظروا إلى جسامة جهلكم وطبيعته واقبلوا نحو أبناء جنسنا المعذبين .

لا يقل لى أحد أن اليوم الذى كان يجب فيه أن نلق قطع

القماش قد مضى ! إذا كان ثمة وصية فى الناموس ان يعملوا الفصح فى الشهر الأول عند العبرانيين ، وكان لأحد أن يمتنع عن الاحتفال لسبب مقبول ، كان يمكنه ان يقدم ذبيحة الفصح فى الشهر الثانى ، « تكلم بنى اسرائيل قائلا . كل إنسان منكم أو من أجيالكم كان نجساً لميت أو فى سفر بعيد فليعمل الفصح للرب. فى الشهر الثانى فى اليوم الرابع عشر بين العشاءين يعملونه. على فطير ومرارة يأكلونه ، عدد ٩ : ١٠ - ١١. فكيف يعقل حينما يكون الأمر متعلقاً بالشفقة ومساعدة الفقراء ، ألا يكون الوقت لائقاً ومناسباً ، فنمتنع عن فعل ما يليق وكأن الوقت قد مضى ، بينما تقول الكتب المقدسة : « لا تمنع الخير عن أهله حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله لا تقل لصاحبك اذهب وعد فاعطيك غداً وموجود عندك ، أم ٣ : ٢٧ - ٢٨ . « لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده اليوم ، أم ٢٧ : ١ .

لا تؤجلوا اذن كلامى إلى السنة القادمة ، بل تصوروا أن اليوم هو يوم الأحد الماضى. وليقدم كل واحد منكم قطعة القماش المعلقة فى رقبته المستعملة عادة كنديل؛ وأنت أيتها المرأة ، سُرّى المسيح باعطائك الملابس التى تحملينها على يدك . هذه الأشياء فعلا لا تساوى سوى القليل ، لكنها تعطى جزاءً سمائياً وتنجى

من كل مرض ومن كل جرح وأنتم أنفسكم وأولادكم الذين يهمكم جداً خلاصهم ، كما أعلم . لأنكم ان عدتم إلى بيوتكم بدون هذه القطع من القماش المذكورة ، فسوف يكون هنـــاك جمع من الملائكة معكم يدخلون البيت ويحفظونه . وأيضاً يكون المسيح ذاته رب الملائكة داخل مساكنكم .

بعد أن تصنعوا ذلك ، لا تظنوا انكم عملتم شيئاً عظيماً. فإن جدعون أحد قضاة اســـرائيل ، بعد أن غلب المديانيين أو الإسرائيليين الذين حملوا السلاح ضده ، قال أيضاً بعد النصر للذين خلصهم واصطفوا معه فى الحرب : « اطلب منكم طلبة أن تعطونى كل واحد أقراط غنيمته .لانه كان لهم أقراط ذهب لأنهم اسمعيليون . فقالوا اننا نعطى . وفرشوا رداء وطرحوا عليه كل واحد أقراط غنيمته » قضاه ٨ : ٢٤ - ٢٥ .

هؤلاء اعطوا مثل هذه الكمية من الذهب لرئيس المعركة . وذلك حينما كانوا قد اصطفوا معه فى المعركة ، لانهم نجوا من عبودية زمنية ، فهل يكون شيئاً عظيماً بالنسبة لنا أن نعطى قليلا من قطع القماش للمسيح الذى خلص جنسنا كله من المخادع ومن الشياطين الأعداء الذين لايمكن مصالحتهم الحقودين ، وكسب

المعركة التى ما كنا نستطيع أن نكسبها ، واعترفت القوات السمائية أنه عاد من المعركة منتصراً ، حينما صعد إلى العلا بعد الآلام الخلاصية والقيامة ، كقول المزمور : « أرفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد . من هذا ملك المجد . الرب القدير الجبار الرب الجبار فى القتال » مز ٢٤ : ٧ - ٨ .

فعلا قد هزم بصليبه أمير الظلام والشر وجنوده الأشرار واشهرهم جهاراً كما يقول بولس الرسول ، وغطاهم بالمهانة .

« إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب . إذ جرد الرياسات والسلاطين اشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه » كو ٢ : ١٤ - ١٥ .

له يليق التسبيح والسلطان مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .